رؤيا .. العلماء

- أنا رضوان صاحب الجنة.
- أما تختم الصلاة.
- أين نظار المصاحف.
- ما تقول في البصل والثوم؟
- أدع الله أن يحييني على الإسلام.
- هل أتاك منكر ونكير؟
- أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك.
- إنما هي أربع بعد أربع.
- أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام.
- كل لا .. واشرب لا.
- اقنع بالذي أعطيته.
- امرأة نكحت الليلة.
- الفقيه والجارية.
- لا أدري أيكم أكرم.
- قد فرج الله عنك.
- من هذا يرحمكم الله؟
- ما كان حال تلك المرأة؟
- ما جئناك إلا لنعرفك موضعه.
- ما ملكت سوى كفني.
- بم بلغت هذه الحال؟
- لا تبرح حتى أنشدك.
- ما صورة هذا الأعرابي؟
- لا تقرأ بعد هذا إلا ما شاء الله.

OBEIKAN.COM

OBEIKAN.COM

[١٥] أنا رضوان صاحب الجنة

قال أبو الحسن الصفار الفقيه، قال: كنا عند الحسن بن سفيان النسوي، وقد اجتمع لديه طائفة من أهل الفضل ارتحلوا إليه من البلاد البعيدة مختلفين إلى مجلسه لاقتباس العلم وكتابة الحديث، فخرج يومًا إلى مجلسه الذي كان يملي فيه الحديث، فقال: اسمعوا ما أقول لكم قبل أن نشرع في الإملاء، قد علمنا أنكم طائفة من أبناء النعم وأهل الفضل، هجرتم أوطانكم وفارقتم دياركم وأصحابكم في طلب العلم واستفادة الحديث، فلا يخطرن ببالكم أنكم قضيتم بهذا التجشم للعلم حقًا، أو أ ديتم بما تحملتم من الكلف والمشقة من فروضه فرضًا فإني أحدثكم ببعض ما تحملته في طلب العلم من المشقة والجهد، وما كشف الله سبحانه وتعالى عني وعن أصحابي ببركة العلم وصفو العقيدة من الضيق والضنك، اعلموا أني كنت في عنفوان شبابي ارتحلت من وطني لطلب العلم واستملاء الحديث، فاتفق حصولي بأقصى المغرب، ودخولي مصر في سبعة نفر من أصحابي طلبة العلم وسامعي الحديث، وكنا نختلف إلى شيخ كان أرفع أهل عصره في العلم منزلة وأرواهم للحديث وأعلامهم إسنادًا، وأصحهم رواية، وكان يملي علينا كل يوم مقدارًا يسيرًا من الحديث، حتى طالت المدة وخفت النفقة ودعتنا الضرورة إلى بيع ما صحبنا من ثوب وخرقة إلى أن لم يبق لنا ما كنا نرجوا به حصول قوت يوم، وطوينا ثلاثة أيام بلياليهن لم يذق أحد منا فيها شيئًا، وأصبحنا في بكرة اليوم الرابع بحيث لا حراك بأحد منا من الجوع، واحوجّت الضرورة إلى كشف قناع الحشمة وبذل الوجه للسؤال، فلم تسمح بذلك أنفسنا ولم تطب قلوبنا، وأنف كل واحد منا من ذلك، والضرورة تحوج إلى السؤال على كل حال، فوقع اختيار الجماعة على

كتابة رقاع بأسمائنا وإرسالها رقعة في الماء، فمن ارتفع اسمه كان هو القائم بالسؤال واستماحة القوت لنفسه ولجميع أصحابه، فارتفعت الرقعة التي اشتملت على اسمي، فتحيرت ودهشت ولم تسامحني نفسي بالمسألة واحتمال المذلة، فعدلت إلى زاوية من المسجد أصلي ركعتين طويلتين وأدعو الله سبحانه وتعالى بأسمائه العظام، وكلماته الرفيعة لكشف الضر وسياقة الفرج فلم أفرغ من الصلاة حتى دخل المسجد شاب حسن الوجه نظيف الثوب طيب الرائحة يتبعه خادم في يده منديل، فقال: من منكم الحسن بن سفيان؟ فرفعت رأسي من السجدة، وقلت: أنا الحسن بن سفيان فما الحاجة؟ فقال: إن الأمير ابن طولون صاحبي يقرئكم السلام والتحية ويعتذر إليكم من الغفلة عن تفقد أحوالكم، والتقصير الواقع في رعاية حقوقكم، وقد بعث بما يكفي نفقة الوقت، وهو زائركم غدًا بنفسه ومعتذر إليكم بلفظه، ووضع بين يدي كل واحد منًّا صرة فيها مائة دينار، فتعجبنا من ذلك وتحيرنا جدًّا، وقلت للشاب ما القصة في هذا؟

فقال: أنا أحد خدم الأمير ابن طولون المختصين به دخلت عليه بكرة يومي هذا مسلمًا في جملة أصحابي فقال الأمير لي: إني أحب أن أخلو يومي هذا فانصرفوا أنتم إلى منازلكم، فانصرفت أنا والقوم، فلما عدت إلى منزلي لم يستو قعودي حتى أتاني رسول الأمير مسرعًا مستعجلًا يطلبني حثيثًا، فأجبته مسرعًا فوجدته منفردًا في بيت واضعًا يمينه على خاصرته لوجع ممض اعتراه في داخل حشاه فقال لي: أتعرف الحسن بن سفيان وأصحابه؟ فقلت: لا، فقال: اقصد المحلة الفلانية والمسجد الفلاني، واحمل هذه الصرر وسلمها إليه وإلى أصحابه، فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع بحالة صعبة، ومهد عذري لديهم وعرّفهم أني صبيحة الغد زائرهم ومعتذر شفاهًا إليهم، فقال الشاب وسألته عن السبب الذي دعاه إلى هذا فقال: دخلت إلى هذا البيت منفردًا على أن

أستريح ساعة، فلما هدأت عيني رأيت في المنام فارسًا في الهواء متمكنًا تمكن من أن يمشي على بساط الأرض وبيده رمح فجعلت أنظر إليه متعجبًا حتى نزل إلى باب هذا البيت، ووضع سافلة رمحه على خاصرتي، وقال: قم أدرك الحسن بن سفيان وأصحابه، قم فأدركهم، قم فأدركهم فإنهم منذ ثلاثة أيام جياع في المسجد الفلاني، فقلت له: من أنت؟ فقال: أنا رضوان صاحب الجنة، ومنذ أصابت سافلة رمحه خاصرتي أصابني وجه شديد لا حراك لي معه، فعجّلْ إيصال هذا المال إليهم ليزول هذا الوجع عني. قال الحسن: فتعجبنا من ذلك وشكرنا الله تعالى وأصلحنا أحوالنا ولم تطب نفوسنا بالمقام لئلا يزورنا الأمير، ولئلا تطلع الناس على أسرارنا فيكون ذلك سبب ارتفاع اسم وانبساط جاه، ويتصل ذلك بنوع من الرياء والسمعة، فخرجنا تلك الليلة من مصر وأصبح كل واحد منا واحد عصره وقريع دهره في العلم والفضل، فلما أصبح الأمير ابن طولون جاء لزيارتنا، فأُخبر بخروجنا، فأمر بابتياع تلك المحلة بأسرها وأوقفها على ذلك المسجد وعلى من ينزل به من الغرباء وأهل الفضل وطلبة العلم نفقة لهم حتى لا تختل أمورهم ولا يصيبهم الخلل ما أصابنا، وذلك كله لقوة الدين، وصفو الاعتقاد والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق[١].

[١٦] أما تختم الصلاة

قال الحافظ ابن منده: سمعت حمزة بن محمد الحافظ يقول: كنت أكتب الحديث فلا أكتب [وسلم] فرأيت النبي ﷺ في المنام، فقال لي: أما تختم الصلاة عليّ في كتابك[٢]!

---

(١) المنتظم (١٣/ ١٥٨).

(٢) النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة (٤/ ٢١) ابن تغري بردي.

[١٧] أين نُظّار المصاحف

عن حمزة الزيات قال: رأيت البارحة في منامي كأنّ القيامة قد قامت وقد دعي بقرّاء القرآن، فكنت فيمن حضر فسمعت قائلًا يقول بكلام عذب: «لا يدخل عليَّ إلا من عمل بالقرآن»، فرجعت القهقرى فهتف باسمي: أين حمزة ابن حبيب الزيات؟ فقلت: لبيك داعي الله. فبدرني ملك فقال: قل لبيك اللهم. فقلت: كما قال لي. فأدخلني دارًا فسمعت فيها ضجيج القرآن، فوقفت أرعُدُ فسمعت قائلًا يقول: لا بأس عليك ارق واقرأ، فأدرتُ وجهي فإذا أنا بمنبر من دُرّ أبيض، دفتاه من ياقوت أصفر، مراقيه من زَبَرْجَدٍ أخضر فقال لي: ارق واقرأ فرقيت، فقال لي اقرأ سورة الأنعام، فقرأت وأنا لا أدري على من أقرأ حتى بلغت الستين فلما بلغتُ: ﴿وَهُوَ القَاهِرُ فَوقَ عِبَادِه﴾ قال لي: يا حمزة ألست القاهرُ فوق عبادي؟ فقلت: بلى. قال صدقت، اقرأ. فقرأت حتى ختمتها ثم قال لي: اقرأ فقرأت الأعراف حتى بلغت آخرها، فأومأت إلى الأرض بالسجود. فقال لي: حسبك ما مضى، لا تسجد يا حمزة. من أقرأك هذه القراءة؟ فقلت: سليمان. قال: صدقت من أقرأ سليمان؟ قلت: يحيى. قال: صدق يحيى، على من أقرأ يحيى؟ فقلت: على أبي عبد الرحمن السلمي، قال: صدق أبو عبد عبد الرحمن السلمي، من أقرأ أبا عبد الرحمن؟ فقلت: ابن عم نبيك عليّ. فقال صدق عليّ، فمن أقرأ عليًّا؟ قلت: نبيك محمد ﷺ قال: ومن أقرأ نبيّ؟ قال: قلت جبريل عليه السلام. قال: ومن أقرأ جبريل؟ قال: فسكت. فقال لي: يا حمزة قل: أنت. قال: فقلت: ما أجسر أن أقول. فقال: قل، فقلت: أنت. فقال: صدقت يا حمزة، وحق القرآن لأكرمن أهل القرآن لاسيما إذا عملوا بالقرآن، يا حمزة: القرآن كلامي وما أحب أحدًا كحبي أهل القرآن. ادن يا حمزة فدنوت فضمني بالغالية وقال: ليس أفعل بك وحدك، قد فعلت

ذاك بنظرائك ممن فوقك ومن دونك. ومن أقرأ القرآن كما أقرأته لم يرد بذلك غيري، وما خبّأت لك يا حمزة عندي أكثر فأعلِمْ أصحابك بمكاني من حبي لأهل القرآن وفعلي بهم فهم المصطفون الأخيار، يا حمزة وعزتي وجلالي لا أعذب لسانًا تلا القرآن بالنار، ولا قلبًا وعاه، ولا أذنًا سمعته ولا عينًا نظرته. فقلت: سبحانك سبحانك. فقال: يا حمزة أين نُظَّار المصاحف؟ فقلت: يا رب أفحفاظ هم؟ قال: لا، ولكني أحفظه لهم حتى يوم القيامة فإذا لقوني رفعت لهم لكل آية درجة[1].

[١٨] ما تقول في البصل والثوم؟

قال إسحاق بن إسماعيل قال: سمعت سفيان يقول: رأيت النبي ﷺ في النوم، فقلت: يا رسول الله، ما تقول في البصل، والثوم؟

قال: الملائكة تتأذى بهما[2].

---

(١) صفة الصفوة (٢/ ٥٧٥).

صح عن النبي ﷺ قوله: «من سره أن يحب الله ورسوله فلينظر في المصحف». رواه أبو نعيم في الحلية وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٢٦٨).

(٢) المنامات رقم (١١٥).

قلت: قد صح عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب يوم الجمعة فقال في خطبته: «ثم إنكم أيها الناس تأكلون شجرتين ما أراهما إلا خبيثتين: البصل، والثوم. لقد رأيت رسول الله ﷺ إذا وجد من الرجل في المسجد أمر به فأُخرِج إلى البقيع، فمن أكلهما، فليمتهما طبخًا». رواه مسلم رقم (٥٦٧).

والحكمة في هذا: أن الإسلام دين يراعي شعور الآخرين، ويحث على الذوق السليم، والخلق الحسن لذلك نهى عن إيذاء المصلين بهذه الروائح المنبعثة من أكل الثوم والبصل.

OBEIKAN.COM

[١٩] ادع الله أن يُحييني على الإسلام

قال السراج: سمعت الحسين بن أبي زيد يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله، ادع الله أن يحييني على الإسلام. فقال: إيه والسنة، وجمع إبهامه وسبابته وحلق حلقة، وقال ثلاث مرات: والسنة، والسنة، والسنة»[١].

[٢٠] هل أتاك منكر ونكير؟

عن أبي نافع ابن بنت يزيد بن هارون قال: كنت عند أحمد بن حنبل وعنده رجلان، فقال أحدهما: يا أبا عبد الله رأيت يزيد بن هارون في المنام، فقلت له: يا أبا خالد ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي وشفعني وعاتبني.

قال: قلت: غفر لك وشفعك قد عرفت، ففيم عاتبك؟

قال: قال لي: يا يزيد أتحدِّث عن حريز بن عثمان؟

قال: قلت يا رب ما علمت إلا خيرًا.

قال: يا يزيد، إنه كان يُبغض أبا الحسن علي بن أبي طالب.

قال: وقال الآخر: وأنا رأيت يزيد بن هارون في المنام.

فقلت له: هل أتاك منكر ونكير؟

قال: إي والله، وسألاني من ربك؟ وما دينك ومن نبيك؟

قال: قلت: ألمثلي يقال هذا وأنا أُعلم الناس هذا في دار الدنيا؟

فقال لي: صدقت فنم نومة العروس لا بأس عليك[٢].

---

(١) المنتظم (١٦/ ٧٨).

(٢) سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٦٥).

OBEIKAN.COM

[٢١] أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك

من غرائب الاتفاق أن يوسف بن موسى المنتشافري[١] قال: كنت جالسًا بين يدي الخطيب أبي القاسم التاكروني صبيحة يوم بمسجد مالقة، فقال لنا في أثناء حديثه: رأيت البارحة في النوم كأن أبا عبد الله الجلياني يأتيني ببيتي شعر في يده، وهما:

كل علم يكون للمرء شغلًا ... بسوى الحق قادح في رشاده

فإذا كان فيه لله حظ ... فهو مما يعده لمعاده

قال: فلم ينفصل المجلس حتى دخل علينا الفقيه الأديب أبو عبد الله الجلياني، والبيتان معه، فعرضهما على الشيخ. فأخبره أنه صنعهما البارحة، فقال له كل من في المجلس: أخبرنا بهما الشيخ قبل مجيئك، فكان هذا من العجائب[٢].

[٢٢] إنما هي أربعٌ بعد أربع

كان سعيد بن المسيب لا يقبل بوجهه على هشام بن إسماعيل إذا خطب يوم الجمعة، فأمر به هشام بعض أعوانه يعطفه عليه إذا خطب فأهوى العون يعطفه فأبى عليه فأخذه حتى عطفه، فصاح سعيد، يا هشام إنما هي أربع بعد أربع. فلما انصرف هشام قال: ويحكم جن سعيد، فسئل سعيد: أي شيء أربع بعد أربع، سمعت في ذلك شيئًا؟ قال: لا، فقيل: ما أردت بقولك؟ قال: إن جاريتي لما أردت المسجد، قالت لي: إني رأيت هذه الليلة رؤيا فلا تخرج حتى

---

(١) المنتشافري: نسبة إلى منتشافره Monte sacno في مقاطعة أكشوبنة.

(٢) الإحاطة في أخبار غرناطة (٤/ ٣٨٧).

OBEIKAN.COM

أقصها عليك وتعبرها لي، رأيت كأن موسى غطّس عبد الملك في البحر ثلاث غطسات، فمات في الثالثة، فأولتُ أن عبد الملك مات، وذلك أن موسى بُعث على الجبارين بقتلهم، وعبد الملك جبار هذه الأمة. قال: فلم قلت أربع بعد أربع؟

قال: مسافة مسير الرسول من دمشق إلى المدينة بالخبر، فمكثوا ثماني ليال ثم جاء رسول بموت عبد الملك[١].

[٢٣] أقرا رسول الله ﷺ مني السلام

عن أبي الزاهرية قال: عاد عبد الأعلى بن عدي[٢] بن أبي بلال الخزاعي[٣]: فقال له عبد الأعلى: أقرئ رسول الله ﷺ مني السلام، وإن استطعت أن تلقاني فتعلمني ذلك، وكانت أم عبد الله أخت أبي الزاهرية تحت ابن أبي بلال، فرأته في منامها بعد وفاته بثلاثة أيام، فقال: إن ابنتي بعد ثلاثة أيام لاحقتني فهل تعرفين عبد الأعلى؟ ولم يكن يومئذٍ على القضاء فقالت: لا. قال: فسلي عنه، ثم أخبريه أني قد أقرأت رسول الله ﷺ منه السلام، فرد عليه السلام، فأخبرت أخاها أبا الزاهرية بذلك، فأبلغه، فأقبل إليها عبد الأعلى حتى سمع ذلك منها فبكى[٤].

---

(١) المنتظم (٦/ ٣٢٣) لابن الجوزي.

(٢) الهراني، ثقة، التقريب (١/ ٤٦٥).

(٣) هو عبد الله بن أبي بلال الخزاعي، مقبول. التقريب (١/ ٤٠٥).

(٤) شرح الصدور ص(٢٧٥) السيوطي.

OBEIKAN.COM

[٢٤] كُلْ لا.. واشرب لا

قال محمد بن يوسف القاضي، يقول: اعتل أبي علة شهورًا، فأتيته ذات يوم فدعا بي وبأخوي: أبي بكر، وأبي عبد الله، فقال لنا: رأيت في النوم كأن قائلًا يقول: كل لا، واشرب لا، فإنك تبرأ، فقال له أخي أبو بكر: إن لا كلمة وليست بجسم وما ندري ما معنى ذلك؛ وكان بباب الشام رجل يعرف بأبي علي الخياط، حسن المعرفة بعبارة الرؤيا، فجئناه به، فقص عليه المنام فقال: ما أعرف تفسير ذلك، ولكني أقرأ في كل ليلة نصف القرآن، فأخلوني الليلة حتى أقرأ رسمي من القرآن وأفكر في ذلك.

فلما كان من الغد جاءنا، فقال: مررت البارحة وأنا أقرأ على هذه الآية: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور:٣٥]. فنظرت إلى لا وهي تتردد فيها وهي شجرة الزيتون اسقوه زيتًا وأطعموه زيتًا، قال: ففعلنا ذلك، فكان سبب عافيته[١].

[٢٥] اقنع بالذي أُعطيته

قال الشهاب القوصي: أخبرني للرئيس صفي للدين أحمد بن سعيد المرذغاني، وهو من بيت وزارة ورياسة بدمشق، أنه قد كان عزم على السفر منها إلى مصر، لأمر ضاق به صدره، فهتف به هاتف في النوم، وأنشده:

يا أحمدُ اقنع بالذي أُعطِيتُه ... إن كنت لا ترضى لنفسك ذُلّها
وَدَعِ التكاثر في الغنى لمعاشر ... أضحوا على جمع الدراهم وُلَّها
واعلم بأن الله جلَّ جلالُه ... لم يخلق الدنيا لأجلك كلَّها

(١) المنتظم (١٢/٤٠٦).

فانثنى عزمه عن الحركة، ثم بلغ ما أمّله دون سفر[١].

[٢٦] امرأة نُكحت الليلة

أتى رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت البارحة امرأة من جيراني كأنها ذُبحت في بيت من دارها، فقال: هذه امرأة نُكحت الليلة في ذلك البيت. فعزَّ على السائل ما ذكره لأن زوج المرأة كان غائبًا عنها فلما انصرف قال له أهله: رأيت فلانًا -يعنون الغائب جاره- فقال: وهل أتى؟ قالوا: نعم، وفي داره بات البارحة، فقصده وسأله فكان كما قال ابن سيرين[٢].

[٢٧] الفقيه والجارية

حكي عن الفقيه الأديب النحوي أبي عبد الله محمد بن ميمون الحسيني، قال: كانت لي في صبوتي جارية، وكنت مُغرى بها، وكان أبي رحمه الله- يَعذلني ويعرض لي ببيعها، لأنها كانت تشغلني عن الطلب والبحث عليه، فكان عذلُهُ يزيدني إغراء بها، فرأيت ليلة في المنام كأن رجلًا يأتيني في زي أهل المشرق كل ثيابه بيض، وكان يُلقي في نفسي أنه الحسين بن علي بن أبي طالب -رضي الله عنهما-، وكان ينشدني:

تصبو إلى مي، ومي لا تني ... تزهو ببلواك التي لا تنقضي

فاثن عنانك للهدى عن ذي الهوى ... وخف الإله عليك ويحك وارعوي

قال: فانتبهت فزعًا مفكرًا فيما رأيته، فسألت الجارية: هل كان لها اسم قبل أن تتسمى بالاسم الذي أعرفه؟ فقالت: لا، ثم عاودتها حتى ذكرت أنها كانت

(١) نفح الطيب (٣/ ٦٤).
(٢) بهجة المجالس (٢/ ١٤٩).

تسمى «مية» فبعتها حينئذٍ، وعلمت أنه وعظ وعظني الله به عز وجل، وبشرى[١].

[٢٨] لا أدري أيكم أكرم

ذكر الواقدي[٢] أنه قال: ضقتُ ضيقة شديدة، هجم شهر رمضان وأنا بغير نفقة، فضاق ذرعي لذلك، فكتبت إلى صديق لي علوي أسأله أن يقرضني ألف درهم، فبعث إليّ بها في كيس مختوم فتركُتها عندي، فلما كان عشيّ ذلك اليوم وردت عليّ رقعة صديق لي يسألني إسعافه لنفقة شهر رمضان بألف درهم، فوجهت بالكيس إليه بخاتمه، فلما كان من الغد جاءني صديقيّ الذي اقترض مني والذي اقترضتُ منه، فسألني العلوي عن خبر الدراهم، فقلت: صرفتها في المهمّ، فأخرج الكيس بختمه وضحك وقال: اعلم أنه قرب هذا الشهر وما عندي إلا هذه الدريهمات، فلما كتبت إليّ وجهتُ بها إليك، وكتبت إلى صديقنا هذا أقترض منه ألف درهم، فوجه إليّ الكيس، فسألته عن القصة فشرحها لي وقد جئناك لنقتسمها، وإلى أن ننفقها يأتي الله عز وجل بالفرج.

قال الواقدي: فقلت لهما: لست أدري أينا أكرم، واقتسمناها، ودخل شهر رمضان فأنفقت أكثر ما حصل لي منها، وضاق صدري فجعلت أفكر في أمري، فبينما أنا كذلك إذ بعث إليّ يحيى بن خالد البرمكي في سحرة يومي فقال لي: يا واقدي، رأيتك البارحة فيما يرى النائم وأنت على حال دلتني أنك في غم شديد وأذى؛ فاشرح لي أمرك؛ فشرحت له إلى أن بلغت إلى حديث العلوي

---

(١) نفح الطيب (٥/ ٢٥٨).

(٢) الواقدي: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، كان إمامًا له التصانيف في المغازي وغيرها، ولد سنة (١٣٠)هـ وتوفي سنة (٢٠٧)هـ. تولى القضاء بشرقي بغداد وبعسكر المهدي. وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٨).

والصديق والألف درهم، فقال: والله لا أدري أيكم أكرم. وأمر لي بثلاثين ألف درهم. ولهما بمثلها وقلّدني القضاء[1].

[٢٩] قد فرج الله عنك

قال أبو حسان الزيادي: ضقت ضيقة بلغت فيها إلى الغاية، حتى ألحَّ عليَّ القصّاب، والبقّال، والخبّاز، وسائر المعاملين، ولم تبق لي حيلة، فإني ليومًا على تلك الحال، وأنا مفكر في الحيلة، إذ دخل عليّ الغلام فقال: حاجي بالباب يستأذن؟ فقلت له: ائذن له، فدخل الخراساني فسلَّم، وقال: ألست أبا حسان؟ قلت: بلى، فما حاجتك؟ قال: أنا رجل غريب أريد الحج، ومعي عشرة آلاف درهم، واحتجت أن تكون قبلك حتى أقضي حجي وأرجع، فقلت هاتها، فأحضرها وخرج بعد أن وزنها وختمها، فلما خرج فككت الخاتم على المكان، ثم أحضرت المعاملين فقضيت كل دين كان عليّ، واتسعت وأنفقت، وقلت: أضمن هذا المال للخراساني، وإلى أن يجيء يكون قد أتى الله بفرج من عنده، فكنت يومي ذلك في سعة وأنا لا أشك في خروج الخراساني، فلما أصبحت من غد ذلك اليوم دخل عليّ الغلام فقال: الخراساني الحاج بالباب يستأذن فقلت: ائذن له، فدخل فقال: إني كنت عازمًا على ما أعلمتك، ثم ورد عليّ الخبر بوفاة والدي، وقد عزمت على الرجوع إلى بلدي، فتأمر لي بالمال الذي أعطيتك أمس. قال: فورد عليّ أمر لم يرد عليّ مثله قط، وتحيرت فلم أدر ما أقول له، ولا بما أجيبه، وفكرت فقلت: ماذا أقول للرجل؟ ثم قلت: نعم، عافاك الله تعالى، منزلي هذا ليس بحريز، ولما أخذت مالك وجهت به إلى من هو قبله، فتعود في غد لتأخذه، فانصرف وبقيت متحيرًا ما أعمل؟ إن جحدته قدمني

(١) الفرج بعد الشدة ص(١٦٧).

OBEIKAN.COM

فاستحلفني، وكانت الفضيحة في الدنيا والآخرة، وإن دافعته صاح وهتكني وغلظ الأمر عليّ جدًّا، وأدركني الليل وفكرت في بكور الخراساني إليَّ، فلم يأخذني النوم ولا قدرت على الغمض، فقمت إلى الغلام فقلت له: أسرج البغلة، فقال: يا مولاي، هذه العتمة بعد، وما مضى من الليل شيء، فإلى أين تمضي؟ فرجعت إلى فراشي، فإذا النوم ممتنع، فلم أزل أقوم إلى الغلام وهو يردني حتى فعلت ذلك ثلاث مرات، وأنا لا يأخذني القرار، وطلع الفجر، فأسرج البغلة وركبت، وأنا لا أدري أين أتوجه، وطرحت عنان البغلة، وأقبلت أفكر وهي تسير بي حتى بلغت الجسر فعدلت بي فتركتها فعبرت، ثم قلت: إلى أين أعبره، وإلى أين أمضي؟ ولكن إن رجعت وجدت الخراساني على بابي، دعها تمضي إلى حيث شاءت، ومضت البغلة، فلما عبرت الجسر أخذت بي يمنة إلى ناحية دار المأمون، فتركتها إلى أن قاربت باب المأمون، والدنيا بعد مظلمة، فإذا بفارس قد تلقاني فنظر في وجهي، ثم سار وتركني، ثم رجع إليّ فقال: ألست بأبي حسان الزيادي؟ قلت: بلى. قال: أجب الأمير الحسن بن سهل، فقلت في نفسي: وما يريد الحسن بن سهل مني؟ ثم سرت معه حتى صرنا إلى بابه فاستأذن لي عليه فأذن لي، فقال: أبا حسان، ما خبرك؟ وكيف حالك؟ ولم انقطعت عنا؟ فقلت: لأسباب وذهبت لأعتذر. فقال: دع عنك هذا، أنت في لوثة أو في أمر، فإني رأيتك البارحة في النوم في تخليط كثير، فابتدأت فشرحت له قصتي من أولها إلى آخرها إلى أن لقيني صاحبه ودخلت عليه، فقال: لا يغمك يا أبا حسان، قد فرج الله عنك هذه بدرة للخراساني مكان بدرته، وبدرة أخرى لك تتسع بها، وإذا نفذت أعلمنا. فرجعت من مكاني فقضيت الخراساني، واتسعتُ، وفرج الله وله الحمد[1].

---

(١) تاريخ بغداد (٧/ ٣٥٨).

OBEIKAN.COM

[٣٠] من هذا يرحمكم الله؟

قال أبو عمرو الأوزاعي -رحمه الله-: عن عبد الله بن محمد قال: خرجت إلى ساحل البحر مرابطًا، وكان رباطنا يومئذٍ عريشُ مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة، وفي البطيحة خيمة فيها رجل، قد ذهبت يداه ورجلاه، وثقل سمعه وبصره، وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه، وهو يقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلًا. قال الأوزاعي: قال عبدالله: قلت: والله، لآتين هذا الرجل، ولأسألنه. أنىَّ له هذا الكلام: فهم أم علم أم إلهام أُلهم؟ فأتيت الرجل فسلّمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها عليَّ وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلًا.

فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها، وأي فضيلة تفضَّل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صنع ربي والله!! لو أرسل السماء عليّ نارًا فأحرقتني وأمر الجبال فدمرتني، وأمر البحار فأغرقتني، وأمر الأرض فبلعتني ما ازددت لربي إلا شكرًا لما أنعم علي من لساني هذا، ولكن يا عبد الله، إذا أتيتني لي إليك حاجة، قد تراني على أي حالة أنا، أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بُنَيّ لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضئني، وإذا جعت أطعمني، وإذا عطشت سقاني، ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسهُ لي رحمك الله، فقلت: والله ما مشى خلق في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجرًا ممن يمشي في حاجة مثلك، فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل، فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه، فاسترجعت وقلت: أنّى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟ فبينما أنا مقبل نحوه إذ

خطر على قلبي ذكر أيوب النبي ﷺ فلما أتيته سلمت عليه فرد علي السلام، وقال ألست بصاحبي؟ قلت: بلى!

قال: ما فعلت في حاجتي؟

قلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟

قال: بل أيوب النبي.

قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله، وولده؟!

قال: بلى.

قلت: فكيف وجده؟

قال: وجده صابرًا شاكرًا، حامدًا.

قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش منه أقربائه وأحبابه؟

قال: نعم.

قلت: فكيف وجده ربه؟

قال: وجده صابرًا، شاكرًا، حامدًا.

قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره عرضًا لمار الطريق، هل علمت؟

قال: نعم.

قلت: فكيف وجده ربه؟

قال: صابرًا، شاكرًا، حامدًا، أوجز رحمك الله!

قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل، وقد افترسه سبع فأكل لحمه، فأعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقًا يعصيه فيعذبه بالنار، ثم استرجع، وشهق شهقة فمات.

فقلت: إنا لله، وإنا إليه راجعون، عظمت مصيبتي، رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع، وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع، فسجيته بشملة كانت

OBEIKAN.COM

عليه وقعدت عند رأسه باكيًا.

فبينما أنا قاعد إذ تهجم علي أربعة رجال قالوا: يا عبد الله، ما حالك؟ وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي، وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه، فكشفت عن وجهه، فانكب القوم عليه يقبلّون عينيه مرة، ويديه أخرى، ويقولون: بأبي عين طالما غضضت عن محارم الله، وبأبي وجسمه طالما كنت ساجدًا، والناس نيام.

فقلت: من هذا يرحمكم الله؟ فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي ﷺ، فغسلناه وكفّناه بأثواب كانت معنا، وصلينا عليه ودفناه، وانصرف القوم، وانصرفت إلى رباطي.

فلما أن جن عليَّ الليل وضعت رأسي، فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة، وعليه حلتان من حلل الجنة، وهو يتلو الوحي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد:٢٤]. فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى. قلت: أنَّى لك هذا؟

قال: إن لله درجات لا تُنال، إلا بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية[1].

[٣١] ما كان حال تلك المرأة

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: خرج عطاء بن يسار وسليمان بن يسار حاجين من المدينة، ومعهما أصحاب لهم، حتى إذا كانوا بالأبواء نزلوا منزلًا.

فانطلق سليمان وأصحابه لبعض حاجتهم وبقي عطاء بن يسار قائمًا في

(١) الثقات (٥/ ٣) لابن حبان.

المنزل يصلي. قال: فدخلت عليه امرأة من الأعراب جميلة فلما رآها عطاء ظن أن لها حاجة فأوجز في صلاته، ثم قال: ألكِ حاجة؟ قالت: نعم، قال: ما هي؟ قالت: قم فأصب مني فإني قد ودقتُ ولا بعل لي. فقال: إليكِ عني لا تحرقيني ونفسكِ بالنار. ونظر إلى امرأة جميلة، فجعلت تراوده عن نفسه ويأبى إلا ما يريد.

قال: فجعل عطاء يبكي ويقول: ويحكِ إليكِ عني.

قال: اشتد بكاؤه فلما نظرت المرأة إليه وما داخله من البكاء والجزع بكت المرأة لبكائه. قال: فجعل يبكي والمرأة بين يديه تبكي. فبينما هو كذلك إذ جاء سليمان من حاجته فلما نظر إلى عطاء يبكي والمرأة بين يديه تبكي في ناحية البيت بكى لبكائهما لا يدري ما أبكاهما، فلما رأت الأعرابية ذلك قامت فخرجت. قال: فلبث سليمان بعد ذلك وهو لا يسأل أخاه عن قصة المرأة إجلالًا له وهيبة.

قال: وكان أسن منه.

قال: ثم إنهما قدما مصر لبعض حاجتهما فلبثا بها ما شاء الله فبينا عطاء ذات ليلة نائم إذ استيقظ وهو يبكي. فقال سليمان: ما يبكيك يا أخي؟

قال: فاشتد بكاؤه. قال: ما يبكيك يا أخي؟ قال: رؤيا رأيتها الليلة.

قال: وما هي؟

قال: لا تخبر بها أحدًا ما دمتُ حيًّا: رأيت يوسف النبي ﷺ في النوم فجئت أنظر إليه فيمن ينظر إليه فلما رأيت حسنه بكيت فنظر إليّ في الناس فقال: ما يبكيك أيها الرجل؟ فقلت: بأبي أنت وأمي يا نبي الله ذكرتك وامرأة العزيز وما ابتليت به من أمرها وما لقيت من السجن وفرقة يعقوب، فبكيت من ذلك وجعلت أتعجب منه. قال: فهلا تعجبت من صاحب المرأة البدوية بالأبواء؟ فعرفت الذي أردت فبكيت واستيقظت باكيًا.

OBEIKAN.COM

قال سليمان: أي أخي وما كان حال تلك المرأة؟ فقص عليه عطاء القصة فما أخبر بها سليمان أحدًا حتى مات عطاء فحدَّث بها بعده[١].

[٣٢] ما جئناكِ إلا لنعرفكِ موضعَه

قال هلال بن المحسن[٢]: رأيتُ في المنام سنة تسع وتسعين وثلثمائة رسول الله ﷺ قد وافى إلى موضع منامي، والزمان شتاء، والبرد شديد، والماء جامد، فأقامني فارتعدتُ حين رأيتهُ، فقال: لا ترتعد فإني رسول الله، وحملني إلى بالوعة في الدار عليها دورق خزف وقال: توضأ وضوء الصلاة. فأدخلت يدي في الدورق فإذا الماء جامد، فكسرته وتناولت من الماء ما أمررته على وجهي وذراعي وقدمي، ووقف في صفة وصلى وجذبني إلى جانبه وقرأ الحمد، وإذا جاء نصر الله والفتح، وركع وسجد، وأنا أفعل مثل فعله، وقام ثانيًا وقرأ الحمد لله وسورة لم أعرفها، ثم سلَّم، وأقبل عليّ وقال: أنت رجل عاقل محصل، والله يريد بك خيرًا فَلِمَ تدع الإسلام الذي قامت عليه الدلائل والبراهين، وتقيم على ما أنت عليه؟ هات يدك وصافحني، فأعطيته يدي فقال: قل أسلمت وجهي لله، وأشهد أن الله الواحد الصمد الذي لم يكن له صاحبة ولا ولد، وأنك يا محمد رسوله إلى عباده بالبينات والهدى. فقلت ذاك، ونهض ونهضت، فرأيت نفسي قائمًا في الصفة، فصحت صياح الانزعاج

---

(١) صفة الصفوة (١/ ٢٩٢) لابن الجوزي.

(٢) هو هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال، أبو الحسن الكاتب الصابي صاحب التاريخ، ولد سنة تسع وخمسين، وسمع أبا علي الفارسي، وعلي بن عيسى الرماني، وغيرهما، وكان صدوقًا وجده أبو إسحاق الصابي صاحب «الرسائل» وكان أبوه المحسن صابئًا، فأما هو فأسلم متأخرًا، وكان قد سمع من العلماء في حال كفره، لأنه كان يطلب الأدب، وتوفي في رمضان سنة (٤٤٨)هـ انظر ترجمته في تاريخ بغداد (١٤/ ٧٦)، وفيات الأعيان (٦/ ١٠١).

والارتياع، فانتبه أهلي وجاءوا، وسمع أبي فقال: ما لكم؟ فصحت به فجاءوا، وأوقدنا المصباح وقصصت عليهم قصتي، فوجموا إلا أبي فإنه تبسم، وقال: ارجع إلى فراشك فالحديث يكون عند الصباح وتأملنا الدورق، فإذا الجمد الذي فيه متشعث بالكسر، وتقدم والدي إلى الجماعة بكتمان ما جرى، وقال: يا بني، هذا منام صحيح، وبشرى محمودة، إلا أن إظهار هذا الأمر فجأة، والانتقال من شريعة إلى شريعة يحتاج إلى مقدمة وأُهبَّة، ولكن اعتقد ما وصّيت به، فإنني معتقد مثله، وتصرف في صلاتك ودعائك على أحكامه، ثم شاع الحديث، ومضت مدة فرأيت رسول الله ﷺ ثانيًا على دجلة في مشرعة باب البستان، وقد تقدمت إليه وقبّلت يده فقال: ما فعلت شيئًا مما وافقتني عليه وقررته معي؟ قلت: بلى يا رسول الله، ألم أعتقد ما أمرتني به، وتصرفت في صلاتي ودعائي على موجبه؟ فقال: لا، وأظن أن قد بقيت في نفسك شبهة، تعال. وحملني إلى باب المسجد الذي في المشرعة، وعليه رجل خراساني نائم على قفاه وجوفه كالغرارة المحشوة من الاستسقاء، ويداه وقدماه منتفختان، فأمر يده على بطنه وقرأ عليه فقام الرجل صحيحًا معافى. فقلت: صلى الله عليك يا رسول الله فما أحسن تصديق أمرك وأعجز فعلك. وانتبهت.

فلما كان في سنة ثلاث وأربعمائة رأيت في بعض الليالي كأن رسول الله ﷺ راكبًا على باب خيمة كنت فيها، فانحنى على سرجه حتى أراني وجهه، فقمت إليه وقبلت ركابه ونزل فطرحت له مخدة وجلس، وقال: يا هذا، كم آمرك بما أريد فيه الخير لك وأنت تتوقف عنه. قلت: يا مولاي، أما أنا متصرف عليه؟ قال: بلى، ولكن لا يغني الباطن الجميل مع الظاهر القبيح، وأن تراعي أمرًا فمراعاتك الله أولى، قم الآن وافعل ما يجب ولا تخالف. قلت: السمع والطاعة.

فانتبهت ودخلت إلى الحمام ومضيت إلى المشهد وصليت فيه، وزال عني

الشك، فبعث إليَّ فخر الملك فقال: ما الذي بلغني؟ فقلت: هذا أمر كنت أعتقده وأكتمه، حتى رأيت البارحة في النوم كذا وكذا. فقال: قد كان أصحابنا يحدثوني أنك كنت تصلي بصلاتنا، وتدعو بدعائنا وحمل إليَّ دست ثياب ومائتي دينار فرددتها. وقلت: ما أحب أن أخلط بفعلي شيئًا من الدنيا، فاستحسن ما كان مني وعزمت أن أكتب مصحفًا فرأى بعض الشهود رسول الله ﷺ في المنام وهو يقول له: تقول لهذا المسلم القادم نويت أن تكتب مصحفًا، فاكتبه، فيه يتم إسلامك قال: وحدثتني امرأة تزوجتها بعد إسلامي قالت: لما اتصلت بك قيل لي: إنك على دينك الأول فعزمت على فراقك، فرأيت في المنام رجلًا قيل: إنه رسول الله ﷺ ومعه جماعة قيل: هم الصحابة، ورجل معه سيفان قيل: إنه علي بن أبي طالب، وكأنك قد دخلت فنزع عليّ أحد السيفين فقلّدك إياه وقال: ها هنا ها هنا. وصافحك رسول الله ﷺ، فرفع أمير المؤمنين رأسه إليّ وأنا أنظر من الغرفة فقال: ما ترَينَّ إلى هذا؟ هو أكرم عند الله وعند رسوله منك ومن كثير من الناس، وما جئناكِ إلا لنعرفُكِ موضعَه، ونعلمك أننا زوجناكِ به تزويجًا صحيحًا فقري عينًا وطيبي نفسًا فما ترِينَّ إلا خيرًا. فانتبهت وقد زال عني كل شك وشبهة[1].

[٣٣] ما ملكت سوى كفني

حكى الشيخ مهذّب الدين أبو طالب محمد بن علي المعروف بابن الخيمي الحلي نزيل مصر الأديب الفاضل، قال: رأيت في النوم شمس الدولة توران شاه بن أيوب وهو ميت، فمدحته بأبيات وهو في القبر، فلفَّ كفنه ورماه إليَّ وأنشدني:

---

(١) المنتظم (١٦/ ١٣) لابن الجوزي.

لا تستقلن معروفًا سمحت به ... ميتًا فأمسيت منه عاريًا بدني
ولا تظننن جودي شابه بخل ... من بعد بذلي ملك الشام واليمن
إني خرجت من الدنيا وليس معي ... من كل ما ملكتْ كفّي سوى كفني[1]

[٣٤] بم بلغت هذه الحال

قال عبد الله بن الحكم: رأيتُ الشافعي في النوم فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: رحمني وغفر لي وزفني إلى الجنة كما تُزفُّ العروس، ونثر على كما يُنثَرُ على العروس، فقلت: بم بلغت هذه الحال؟ فقال لي قائل: يقول لك بما في كتاب «الرسالة» من الصلاة على النبي ﷺ قلت: فكيف ذلك؟ قال: وصلى الله على محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون، قال: فلما أصبحت نظرت إلى الرسالة فوجدت الأمر كما رأيت النبي ﷺ[2].

[٣٥] لا تبرح حتى أنشدك

قال المرزباني: رأى الواثق بالله في منامه كأنه يسأل الله الجنة، وأن يتغمده برحمته، ولا يهلك بما هو فيه، وأن قائلًا قال له: لا يهلك على الله إلا من قلبه مَرْتٌ، فأصبح فسأل الجلساء عن ذلك، فلم يعرفوا حقيقته، فوجه إلى أبي محلم فأحضره، فسأله عن الرؤيا والمرت، فقال أبو محلم: المرت من الأرض: القفر الذي لا نبت فيه، فالمعنى على هذا: لا يهلك على الله إلا من قلبه خالٍ من الإيمان خلو المرت من النبات، فقال الواثق: أريد شاهدًا من الشعر في المرت،

---

(١) وفيات الأعيان (١/ ٣٠٩) لابن خلكان.
(٢) جلاء الأفهام ص(٢٥٠) لابن القيم.

ففكر أبو محلم طويلًا، فأنشده بعض من حضر بيتًا لبعض بني أسد:

ومرت مرورات يحار بها القطا ويصبح ذو علم بها وهو جاهل

فضحك أبو محلم ثم قال للذي أنشده: ربما بَعُد الشيء عن الإنسان وهو أقرب إليه مما في كمه، والله لا تبرح حتى أنشدك، فأنشد للعرب مائة بيت معروف لشاعر معروف، في كل بيت منها ذكر المرت، فأمر له الواثق بألف دينار، وأراده لمجالسته فأبى أبو محلم[1].

[٣٦] ما صورة هذا الأعرابي؟

عن أبي الحسن أحمد بن يوسف التنوخي قال: خرج أخي أبو أخي أبو محمد الحسن بن يوسف يقصد أخاه أبا يعقوب إسحاق بن يوسف وهو حينئذٍ بمصر، ومعه زوجة كانت لأبي يعقوب ببغداد وصية منها، فلما عاد حدثني أنه سلك في قافلة كبيرة من هيت[2] على طريق السماوة يريد دمشق قال: فلما حصلت في أعماق السماوة أخفرتنا خفراؤنا، وجاء قوم من الأعراب ظاهرَ وهم علينا وأظهروا أنهم من غيرهم، وقطعوا علينا واستاقوا ركابنا، وبقيت أنا والناس مطروحين على الماء الذي كنا نزلنا عليه بلا جمل ولا زاد، فآيسنا من الحياة، فقلت للناس: إن الموت لابد منه على كل حال، أأقمنا في مكائنا أو سرنا، ولئن نسير في طلب الخلاص فلعلّ الله سبحانه وتعالى يرحمنا ويخلصنا أولى من أن نموت هاهنا، وإن متنا في سيرنا كان أعذر. فساعدوني وسرنا يومنا وليلتنا وأنا أحمل الصبيّة بنت أخي لأنّ أمها عجزت عن حملها، ولما طال

---

(١) بغية الوعاة (١/ ٢٥٧).

(٢) هيت: هي بلدة على الفرات من نواح بغداد فوق الأنبار.

الطريق ولم نرَ محجة[١] ولا إنسانًا أحسسنا بالهلاك، ومات منا قوم قال: وأنا في خلال ذلك قد بدأت بختمة وأنا متشاغل بها وبالدعاء إلى أن وقعنا في اليوم الثالث على حَلّة أعراب[٢] فأنكرونا، فلم أعمل أنا عملًا حتى ولجتُ بين امرأة منهم وأمسكتُ ذيلها، وكنت سمعت أنّ هذا إذا عمله الإنسان فهو آمن من شرهم وقد وجب حقه عليهم. قال: فتفرقنا في بيوتهم، واختلفت أحوال الناس، فأمّا أنا فإن صاحب البيت الذي أُنزلتُ عليه لما رأى هيبتي ودرسي للقرآن وأني لم أزل أحادثه وأرفق به قال لي: ماتشاء؟ قلت: تُركبُني وهذه المرأة وهذه الطفلة راحِلة لك، وتسير معي إلى دمشق حتى أعطِك ثمن راحلتك وأهبها لك، وأقضي حقك بعد هذا. فتذمم واستحيا، وقدرت أني إذا دخلت إلى دمشق وجدتُ بها من أصدقاء أخي من آخذ منه ما أريده. فكساني الأعرابي، وكسا المرأة والصبية، ووطأ لي راحلة ولها راحلة، وحمل معنا من الزاد والماء ما يكفينا، وركب معنا راحلة. وكان أكثر من وصل معنا إلى ذلك الموضع قد تأتي له مثل ما تأتي لي. قال: فسرنا ونحن رفقة صالحة العدد، فلما كان بعد أيام شارفنا دمشق مع طلوع الشمس، فإذا أهلها قد طلعوا يستقبلون الناس، وكل من له صديق أو معرفة يسأل عنه -وقد بلغهم خبر القطع- فما شعرت إلَّا وإنسان يسأل عن كنيتي ونسبتي، فقلت: ها أنا ذا فعدّل إليّ فقال: أنت أبو محمد بن الأزرق الأنباري؟ قلت: نعم. فقام إليّ فأخذ بخطام راحلتي، وتبعني الأعرابي برواحله حتى دخلنا مع الرجل إلى دمشق، فجاء بنا إلى دار حسنة تدل على نعمة حسنة، فأنزلنا؛ فلم أشك في أنه صديق لأخي، فنزلت والأعرابي، وأُخذت جمالنا، وأدخلنا الحمام، وأُلبستُ خلعة نظيفة،

---

(١) المحجة: الطريق المسلوكة.

(٢) حلّة الأعراب: مكان حلولهم.

وفعل بالمرأة والصبّية كذلك، وأقمت يومي وغده في خفض عيش لا أسأله عن شيء ولا يسألني.

فلما كان في اليوم الثالث قال لي: ما صورة هذا الأعرابي؟ فأخبرته بما أخذنا منه، فقال: خذ ما تريد من الدنانير؛ فقلت: كذا وكذا دينارًا؛ فأعطانيها، فدفعتها إلى الأعرابي وسلمت إليه الجمال، وسألت الرجل أن يزوّده زادًا لا يكون مثله في البادية، فأخرج له شيئًا كثيرًا، وخرج الأعرابي شاكرًا. فقال الرجل: أين تريد الآن من البلاء وكم يكفيك من النفقة؟ فلما قال لي ذلك ارتبت به وقلت: لو كان هذا من أصدقاء أخي الذين كاتبهم بتفقدي لكان قد علم مقصدي. فقلت له: كم كاتبك أخي أن تعطيني؟ قال: ومن أخوك؟ فقلت: أبو يعقوب بن الأزرق الكاتب الأنباري المقيم بمصر. قال: والله ما سمعت باسم هذا الرجل قط ولا أعرفه، فورد عليّ أعجب مورد، فقلت: يا هذا، إني ظننتك صديقًا له وأن ما عاملتني به من الجميل بسببه، فانبسطت إليك بالطلب، ولو لم أعتقد هذا لا نقبضت، فما السبب فيما عاملتني به؟ قال: أمر هو أوكد من أمر أخيك يُحب أن يكون انبساطك به أتمّ. فقلت: ما هو؟ قال: إن خبر الوقعة بالقافلة التي كنت فيها بلغنا في يوم كذا وكذا، فما بقي بدمشق أحد إلا وردت عليه مصيبة عظيمة: إما بذهاب مال أو بغم على صديق غيري، فإنه لم يكن لي بشيء من ذلك تعلق، واستعد الناس للخروج إلى تلقي المنقطعين وإصلاح أحوالهم -ولم أعزم أنا- فلما كان في الليل رأيت النبي ﷺ في منامي، وكأنه يقول لي: أدرك أبا محمد بن الأزرق الأنباري فأغثه، وأصلح شأنه بما يبلغه مقصده، فلما أصبحت خرجت مع الناس أسأل عنك، فكان ما رأيت، فهات فاذكر الآن ما تريده.

قال: فبكيت بكاء شديدًا لم أقدر معهم على خطابه مدة، ثم نظرت ما يُبلغني مصر، فطلبته منه، وأخذته وأصلحت أمري، وسألت الرجل عما يُعرف به؟

فقال: أنا فلان ابن فلان الصابوني، فلما بلغت إلى مصر حدثت أخي بالحديث فتعجب منه وبكى، وقال أبو الحسن: وضرب الدهر من ضربه، وورد أخي أبو محمد ما عامله به ابن الصابوني الدمشقي جعلته صديقًا وكنت أكاتبه، فلما وردت إلى دمشق وجدت حال الرجل قد اختلفت بمحن لحقَتْهُ، فوهبت له ضيعتي بدمشق -وكانت جليلة الغلة والقيمة- وسلمتها إليه مكافأة على ما فعل وعامل به أخي أبا محمد[1].

[٣٧] لا تقرأ بعد هذا إلا ما شاء الله

عن أبي الوفاء القاري الهروي، قال: رأيت المصطفى ﷺ في المنام بفرغانة سنة ستين وثلاثمائة، وكنتُ أقرأ عند السلطان وكانوا لا يسمعون ويتحدثون، فانصرفت إلى المنزل مغتمًّا فنمت، فرأيت النبي ﷺ كأنه تغير لونه، فقال لي عليه السلام: تقرأ القرآن كلام الله عز وجل بين يدي قوم يتحدثون ولا يسمعون قراءتك، لا تقرأ بعد هذا إلا ما شاء الله، وأنا ممسك اللسان أربعة أشهر، فإذا كانت لي حاجة أكتبها على الرقاع، فحضرني أصحاب الحديث وأصحاب الرأي فأفتوا بأني آخر الأمر أتكلم فإنه قال: إلا ما شاء الله، وهو استثناء فنمت بعد أربعة أشهر في الموضع الذي كنت نمت فيه أولًا، فرأيت النبي ﷺ في المنام يتهلل وجهه، فقال لي: قد تُبْت؟ قلت: نعم يا رسول الله، قال: من تاب تاب الله عليه، أخرج لسانك فمسح لساني بسبابته، وقال: إذا كنت بين يدي قوم وتقرأ كتاب الله فاقطع قراءتك حتى يسمعوا كلام الله فانتبهتُ، وقد انفتح لساني. بحمد الله ومَنِّه[2].

---

(١) الفرج بعد الشدة ص(١٤٦).

(٢) تفسير الأحلام ص(٣٩) لابن سيرين.

OBEIKANDL.COM